

المركز والهامش: قراءة في الثقافة والثقافة المضادة عند الشعراء الصَّعاليك

The Marginal Discourse of the Tales of Poets: Reading in the Cultural Dimension

أ. د. غيثاء علي قادرة *

كلية الآداب، جامعة تشرين / اللاذقية (سورية)، mariass8538@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/30 تاريخ القبول: 2023/07/31 تاريخ النشر: 2023/08/31

Abstract:

The research goes thoroughly depicting the cultural dimension of the marginal discourse and the social systemic displacement of the pre-Islamic ascetic poets. It reveals the culture of tribal domination that resulted in a state of double forced exodus led by the tramps, creating a new culture of belonging to an alternative tribe, and in pursuit of a present subject despite absence, rebellious despite Authoritarianism. The research, in its textual linguistic mechanisms, in its images and its statement, monitors the forms of intellectual and objective employment of the absent, marginalized, and present subject despite the imposed culture of absenteeism and abolition imposed by the culture of authoritarianism and exclusivity.

Keywords: Discourse, marginalization, exclusion, culture Brats, hair, rebellion

ملخص البحث:

يتغيًا البحث المزمع إنجازَه الوقوف على نسقي المركز والهامش، وما يضم كل منهما من ثقافة تتضاد والآخر، بدءاً من رصد مكونات الثقافة، ومفرداتها القيميّة، ومنظوماتها الاجتماعية والفكرية والوجودية وصولاً إلى ما أنتجته من ثقافة مضادة.

ويسعى البحث إلى تبيان أشكال التوظيف الفكري والموضوعي للذات المهمّشة المهمّشة وفق قراءة ثقافية تبرز فاعلية الأنساق الثقافيّة، ومضمّراتها التي ينطوي عليها الخطاب الشعري بكل تجلياته؛ لما لها من دور في إنتاج المعنى الكامن في الثقافة المجتمعية القائمة على غياب المعايير القيميّة.

الكلمات المفتاحية: خطاب؛ هامشية؛ تغييب؛

ثقافة؛ صعاليك؛ شعر؛ تمرد.

مقدمة:

تفرّد الشعراء الصعاليك بخطاب شعري نسجته تجارب الوجود، وحاكته برؤى باصرة، وأخرى متبصرة تستشرف الحياة من قلب الفناء، فتساوق فيها الفيض الفكري مع إيقاع الحياة المتكئ على الحركة السّالبة من جهة، والموجبة من جهة أخرى، فجاء النتاج الشعري عاكساً ثقافة التغريب القبليّة والتميش، مؤكداً غياب ثقافة المعيارية، وما نتج عنها من ثقافة مضادة، تؤطر العلاقة بين المركز والهامش، وتسعى إلى لأم الشُّروخ التي أرثتها المنظومة الاجتماعية القبلية في الجاهلية، وإلى خلق بنية اجتماعية تسوّرها التشاركيّة دحضاً لنسق التفرّد وخلقاً لنسق الغيرية.

يفرض علينا البحث في شعر الصعاليك قراءة في نسقته الثقافية المضمرة، بوصف الشعر خطاباً يترجم حوادث ثقافيّة، ووقائع سياسية واقتصادية واجتماعية يتخفّى المضمّن منه في أطواء معانيه رغم مراوغته. سعيًا إلى قراءة نسق المركز والهامش؛ مستغورين فيهما المضمرات التي ينطوي عليها الخطاب الشعري كسبيل إلى معرفة التكوين الثقافي للشاعر الصعلوك، ومن يتضاد معه ممّن أرث للصعلكة، وأفرز قنوات تفرّعت من أصل السبيل؛ لتغدو لاهثة وراء السبيل منعتة منه في الآن معاً؛ وهنا ممكن الثقافة والثقافة المضادة.

وانطلاقاً من أهمية الأنساق في كشف المرجعيات الثقافية والمعرفية والجمالية والتاريخية، وفي تقديم نظام صياغة الذات، كان تناولنا الصعاليك من باب النقد الثقافي الذي يسعى "بناءً على مركزياته الفكرية وطروحاته الأيديولوجية إلى مسألة البنى النصية بوصفها حوادث ثقافية، ومن ثم اكتناه أبعادها، ومضمراتها النسقية التي تبدو هي الأخرى على وشيجة تامة بالسياقات الثقافية والظروف التاريخية التي أنتجتها"⁽¹⁾.

تتأتى أهمية البحث من رؤية نصوص الصعاليك بؤر ثقافية تبرز أثر الواقع الثقافي في إنتاج التضادات، والمتعارضات في الواقع الثقافي الاجتماعي؛ وإذ يتولّى العمل إبراز ثقافة المركز والهامش في الخطاب.

أما الهدف منه فيتجلى في الكشف عن فاعلية الأنساق في تشكيل خطاب الصعاليك الفكري والخطاب المضاد، الذي يعكس ثقافتى المركز والهامش انطلاقاً من معرفة ظروف نشأة قائله، والتأثيرات الخارجية والداخلية لمجتمع الصعاليك، من خلال رصد المكونات الداخلية وسبل ترابطه، ثم تحليلها كشفاً عن الآليات التي يقوم عليها بنيانها ومؤدّاها، وصولاً إلى ما استتر في أطوائها من رؤى تكوّن النواة الحقيقية لها، والثقافة التي أنتجته. وهذا ما دفع الناقد جيروم ستولينز إلى أن يقول: إن "الشيء لا يمكن أن يفهم منعزلاً، وإنما يُفهم بدراسة أسبابه، ونتائجه وعلاقاته المتبادلة"⁽²⁾. تستمد الحياة أهميتها من حتمية الصراع الفكري الدائريين ثنائيات الذات والآخر، عند المركز والهامش، وجدلية الحضور والغياب بين الطرفين المتنازعين حياة الصعاليك، فمن ساعٍ إلى السطوة المركزية، إلى مستسلم، مهتمّش؛ في أطواء استسلامه يكمن التمرد المضارع قوة تحاكي قوة الضعف في ضعفه.

إن أهم مفرزات البيئة الثقافية والواقع الأيديولوجي في عصر ما قبل الإسلام ازدواج في البنية المجتمعية؛ فمن مهمّش إلى مهمّش، ومن ساطٍ إلى مسطّى عليه، من ذات غيّبها الآخر إلى ذات انتزعت وجودها من بؤرة الآخر-المركز المتسلّط.

يعيش الوجه الأول: الهامش -الذات المَهْمَشَة- نسق الانزياح الوجودي عن عالم الإنسانية، نسق الاغتراب والقهر، لكنه النسق الذي يضمّر انزياحاً على الانزياح بغية الانتماء، ما يمكنه من تحقيق يوتوبيا حلم العدالة الاجتماعية، ويعيش الوجه الآخر -المركز سلطة وظلماً وقهراً، وهو يرى في يوتوبيا العدالة المنشودة خطراً على وجودهم القبلي، وأيديولوجيا السلطة المتحكّمة⁽³⁾. يضمّر المركز ثقافة المنظومة القبلية التي تمتد نافذةً إلى اللاوعي

الجمعي، فهي ترى الانتماء في مقومات رسمتها، ومنهجية تندُّ عن ثقافة الموضوعية التي أسهمت في جيّها، وهذا ما كان يظهر في خلفية معظم اللوحات الشعرية ذات اللون القاتم الكامن في فعل التهميش المركزي.

تعتمد الدراسة منهجية إجرائية تتمثل في كشف المخبوء لإبراز الثقافة من المضمّر النسقي المختبئ تحت ظاهر اللغة، مما يقودنا إلى ضرورة معرفة الثقافة المجتمعية الجاهلية والثقافة المناهضة لها؛ اعتماداً على منهج النقد الثقافي، الذي يربط النص الشعري بسياقه الثقافي غير المعلن، انطلاقاً من أن الخطاب الشعري إنما هو مفرز ثقافي، يحمل منهجية البنية السوسيو ثقافية للمجتمع القبلي، وينفتح على قراءات متعددة تمكّننا آليات اشتغالها وإفضائها الدلالي من تقصّي الأنساق التي تنطوي عليها، فتتسع وتمتد تارة لتبدو مستودع أفكار وثقافات ورؤى، وفلسفات متموضعة في زمنٍ محدّد. ولدراسة الثقافة والثقافة المضادة لابد من إطلاع على المنظومة المجتمعية وتركيبها الثقافية.

المركز والهامش لغة:

المركز لغة: جاء في لسان العرب تحت مادة ركز: الرّكز: غرُكُ شيئاً منتصباً كالرمح، ونحوه، تركزه ركزاً في مركزه، وقد ركّزه، يركّزه وريكّزه ركزاً، وركّزه: غرّزه في الأرض.⁽⁴⁾ وبذلك نجد أن معنى المركز هو الثبات في مكان واحد، والأمر نفسه نجده أيضاً في القاموس المحيط، وفيه المركز: وسط الدائرة، وموضع الرجل ومحلّه، وحيث أمر الجند أن يلزموه. الرّكز بالكسر: الصّوت الخفي والحس، والرجل العالم العاقل السخي الكريم... ارتكز على القوس وضع سيتها على الأرض ثم اعتمد عليها⁽⁵⁾.

وفي معجم لاروس الصغير جاء أن المركز: "وسط أي مكان مهما كان. وسط المدينة، وفي الفريق الرياضي لاعب يتموقع في وسط خط الهجوم. أي في مركز الملعب، وفي الرياضيات: المركز نقطة تتموقع بمسافة مساوية للنقاط الأخرى في الخط أو المساحة الملتوية"⁽⁶⁾. وعليه فالمركز ثبات في مكان واحد، وعلى هيئة واحدة، ومنه جاءت الركائز جمع ركيزة؛ كأعمدة تُنصب في الزوايا ليرتكز عليها السقف أو نحوه.

أما الهامش فورد لغة تحت مادة همش مجموعة من المعاني منها: "همش الهمشة: الكلام والحركة، همش وهمش القوم: يهمشون، ويهمشون، وتهامشوا، والهمش: السريع العمل بأصابعه، والهامش حاشية الكتاب"⁽⁷⁾.

وفي القاموس المحيط تحت المادة نفسها نجد: "الهمش الجمع، ونوع من الحلب والعص، وهمش: كضرب، وعلم: أكثر الكلام، وامرأة همشي: كحجّري، كثيرة الجلبة. الهامش: حاشية الكتاب. اهتمشوا: اختلطوا، وأقبلوا وأدبروا ولهم همشة، تهامشوا: دخل بعضهم في بعض وتحركوا"⁽⁸⁾.

وجاء في معجم مصطلحات الأدب تحت مادة هامش أن: "الهامش: الجزء الخالي من الكتابة حول النص في الكتاب المطبوع أو المخطوط، التهميشات: مجموعة تعليقات لكاتب ما على متن غيره، وغالباً تكتب أو تطبع بالهامش بحروف مختلفة عن حروف النص"⁽⁹⁾. أما عن التهميش في الكتاب، فيمكن القول إن الكتاب كمرکز دلالي يحتوي ثقافة معينة مهما كانت، ويتكون من المتن/ المركز Le texte والهامش La marge، ذلك أن المتن معوّل عليه ومأخوذ به، لأنه الأصل، أما الهامش فيمثل الحاشية لأنها في الخارج بالنسبة للنص الأصل.

المركز والهامش اصطلاحاً:

ليس خافياً علينا كثرة الحديث عن الهامشية والتهميش في المجتمع، الذي يستدعي الحديث عن المركز، وانطلاقاً من ثنوية الكون وازدواجية الأشياء وثنائياتها المتضادة نرى أن لا مركز بلا هامش ولا هامش من غير مركز، وكلاهما يستمد أحقيته من الآخر، ويثبت مكانته لدى الآخر، ويسعى لتحصيل قيمته وتأكيداها من الآخر، ويزيد على ذلك

الهامش الذي يشعر بالغربة ويرى أن عليه اقتناص الانتماء من المركز الذي سلبه ذاته ووجوده. فوجود الهامش لا يمكن أن يدرك إلا في وجود المركز.

والهامش حالة تشي بالاغتراب الوجودي بفعل تضال درجة الانتماء أو الاندماج؛ والهامشي "يعيش على هامش المجتمع المنتج، فهو عالة عليه لا يساهم في عملية الإنتاج لكنه يستثمرها بطريقة غير شرعية، وهو لا يرى في ذلك عيباً بل يعتبره حقاً مشروعاً لأن المجتمع في نظره ظالم، يتكوّن من ذئاب بعضها ينهش بعضها، فوجب أن يستولي على رزقه بالحيلة أو بالقوة أو بالكديّة".⁽¹⁰⁾ والطبقة المهمشة طبقة تعاني غربة القهر، وضنين الحياة عليها، بفعل القمع والنفي النفسي والوجودي.

بنية التهميش: فكرة التهميش قديمة قدم التاريخ ومتجذرة في مختلف الحضارات، ولطالما أدرك الإنسان ذاته الضائعة في فردوس المركز. وارتبط التهميش بتفكك النسيج الاجتماعي، والطبقية، وفي ذلك يقول المفكر بيل أشكروفت أن: "تجربة العيش على الهامش هي نتيجة البنية التضادية لمختلف الخطابات المسيطرة"⁽¹¹⁾.

ورأى علماء الاجتماع أنّ "أيّ مجتمع يضع تهميشاً لفئات معينة من الناس بالتمييز بين من يكون في دائرة العمل والاستقطاب وبين من يدور في دائرة اللافعل، وهم الذين لا يملكون أي سلطة للقرار"⁽¹²⁾. وقد نُظِرَ إلى المهمشين على أنهم فئات منحرفة أبعدهم المجتمع خارج أسواره تقوياً لثقافتهم المسلكية وحمايةً للناس منهم، إلّا أنّ الظلم واقع عليهم لا محالة وتبقى لهم مكانة اجتماعية.

المركز والهامش في مجتمع الصعاليك:

المهمّشون من الصعاليك في الجاهلية أفرزهم المجتمع وفق ثقافة القبيلة خارج أركانه، في نسق يعاني الغربة والانهمام والدونية بوصفه بعيداً عن العملية الإنتاجية، وعبئاً اجتماعياً لجرائر لم يرتكبها بعضهم، ولنعي ثقافة الهامشية والمركزية عند الصعاليك، لابد من التطرق إلى ثقافة القبيلة.

ثقافة القبيلة: القبيلة منظومة اجتماعية متكاملة، وتركيب إنساني اجتماعي، يكاد يكون مؤسسة ثقافية، لها منهجيتها، وتركيبها المكوّنة من ثنائية (الرأس/ القاعدة، السلطة/ الرعية، والمركز/ الهامش). وقادت هذه الثقافة المكوّنة من طرفين، أو نسقين غالب ومغلوب، قوي وضعيف إلى نشأة حراك اجتماعي يسعى طرفاه إلى دحر الآخر، وإثبات الذات، فمما لاشك فيه أن غياب السلطة المركزية، وتمحور الأسياد الأغنياء في دائرة محيطها خليط من فقراء، أغربة، أرث لمفهوم الأنا مقابل الآخر، أو سطوة الأنا على الآخر، والأنا هو المركز الذي لا يكفيه تغريب الآخر (الصعلوك المهمّش) بل غدّى سهمه في ميدان الصعلوك الوجودي؛ يجتث رحاب إنسانيته، ويكثر من تغريبه، ومن معاناته التفكك والتشظّي، والظلم والجور والطبقية درجة كبيرة، رغم ذلك لم تكن القطيعة بينهم وبين مجتمعهم تامة؛ فلم يفقد الصعاليك انتماءهم إلى مجتمعهم القبلي. إنّ ما أرسخ ثقافة التهميش لدى الصعاليك هو غياب القيم الإنسانية الممثلة بالحق والكرم والشجاعة في القبيلة؛ فكانت هذه القيم قولاً لا فعلاً.

وأسهمت العصبية القبلية في تأسيس البنية الثقافية المجتمعية الجاهلية، فقد وعّت العصبية القبلية الفرد الجاهلي الذي التمس هويته في مكنها المجتمعي، وعلت في البنية المجتمعية القبيلة فردية الذات القوية التي خلقت صراعها مع الآخر تحت شعار الأنا لا الآخر، فاندرجت الذات المهمّشة في سياق اللامتني (الأنومي)، (ANOMI)، وعايشت تفكك العلاقات الاجتماعية، وغياب التواصل الاجتماعي، وغياب المساواة بين الطبقات، وزيادة الهوة بينها بفعل السلطوية.

نسق الهامشية:

قادت الهامشية التي وُحِّدَت الصعاليك، وأفقدتهم الصلة مع القبيلة إلى الابتعاد لاشعورياً عن المجموع، وخلق سلوك صراعي ينتهي بهم إلى صراع مستمر بفعل شعور الانتماء الذي صدَّع العلاقة بين الصعلوك وقبيلته.

1-اللانتماء: إن ما أسَّس اللانتماء لدى الصعاليك عدم الاعتراف بهم أفراداً ذوي قيمة؛ وليس أدلّ على ذلك مما قاله السليك بن السلكة، الشاعر الغراب، الذي عانى فقد الانتماء والهامشية، والتغريب مع نساء جلدته اللواتي كشف، في نص له عن عبثية الحياة، التي عشنها، وتحمَّلْنَ ضيمها وهوانها؛ في صورة تنبي عن قهر وغربة، فيقول⁽¹³⁾:

أَشَابَ الرَّأْسُ أَتَى كُلَّ يَوْمٍ، أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرِّحَالِ
يَشْقُ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا وَيَعْجِزُ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ حَالِي

تجلو فنية النص ثقافة المجتمع المنقسم بين هامشية مركزية ومركز فعّال في تغريبه، ورغم سطوع صورة الهامش الداكنة تفوقها صورة المركز الغائب تصريحاً الحاضر تلميحاً بدكن فعالها؛ إذ تنجلي لنا رؤية الذات الشاعرة نفسها في نسق مهمّش، وسط ذوات أخر مقموعات؛ في مقابل نسق سلطوي مركزي مُهمّش.

إن الإقرار باستمرارية التهميش الذي تشي به عبارة (كل يوم) تنقلنا إلى واقع المجتمع وثقافته، فغياب المعايير القيمية أرثت لنسقين، نسق ضائم، متسلّط، ونسق واقع عليه الضيم وهو نسق النسوة اللاتي يلقين عذاباً، ونكراناً، وهن معادل نفسي للذات الشاعرة التي تلقى الضيم عينه، وترزح تحت نير الظلم والاضطهاد. تعزّز المحمولات الثقافية لضمير الجماعة (نون النسوة)، (يلقين، تخلصهن) فكرة السخط على معطيات الواقع الذي أرخى بظلاله السوداء على الذات الشاعرة، وتشّي بواقع الاستلاب الذي يمارسه النسق المهيمن (المركز)، ويؤكّده الإعلان الحملان (يشق ويَعْجِز) ثقل الواقع على الذات.

قد نتمكّن من إدراك فاعلية الأنساق الثقافية، وتشكّلاتها النصّية من خلال علائقيتها السياقية التي تقدّمها فكرة الهامشية، والصراع المستمر مع المركز؛ الذي تظهره الأنساق رغم مراوغتها ورغم مواراتها المضمّرات. وحالة الصراع المعيش بين ثنائيات الذات/ القبيلة، التسلط/ الخضوع، هامشية الأنا/ مركزية الآخر تتّضح أيضاً في ثقافة القمع التي يصوّرها عروة بن الورد في مشهد الفقراء، فاقدٍ الشعور بالانتماء، حين يقول⁽¹⁴⁾:

إِذَا قُلْتُ: قَدْ جَاءَ الْغَنَى حَالُ دُونِهِ أَبُو صَبِيَّةٍ، يَشْكُو الْمَفَاقِرَ، أَعْجَفُ
لَهُ خَلَّةٌ لَا يَدْخُلُ الْحَقُّ دُونَهَا كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ خُطُوبٌ تُجَرِّفُ
فَإِنِّي لَمُسْتَافٌ الْبِلَادِ بِسُرْبَةٍ فَمُبْلَغُ نَفْسِي عَذْرَاهَا، أَوْ مُطَوِّفُ
رَأَيْتُ بَنَى لُبْنَى عَلَيْهِمْ غَضَاضَةٌ بِيَوْثُهُمْ وَسَطَ الْحُلُولِ، التَّكْنُفُ

القبيلة التي يمتح منها الشاعر فكره الجمعي، وذاكرته الثقافية مرجع لهامشيته، فهو يقبّع بين الأمل بالغنى وبين هزائم الاستلاب، بين حالة من الوجود منتظرة، وبين العدم؛ وهذا ما يشي به التقرير الإخباري: /أبو صبية، يشكو المفاقر أعجف/، الذي يُظهر ويُضمّر معاً هامشية بفعل الفقر والهزال والجوع. فالشكوى جماعية، مثقلة بالأسى، وبوارق الأمل القليلة.

نقع في العبارات المتتابعة على (أبو صبية، يشكو المفاقر، أعجف، أصابته خطوب،...) على نسقين: ظاهر هو الهامشية بفعل الفقر، وحدة الألم وأسى النفس، والاستلاب الذي ترجمته نتائج الجوع، وفقر الظهر المحدبة /عجف الفقار/ ومصائب الدهر المتوالية على الرجل الفقير، كثير العيال، ومضمّر هو ثقافة القبيلة، ثقافة المركز الذي يعيث في فساد القيمي والأخلاقي ويغدّد السير قدماً في إجهاض الإنسانية حقّها، ومن جانب آخر نستقرئ أنا الشاعر العليا التي تجهد في وصف الأعجف وفقره ليكون حاضراً أمامه، معطاءً له، كريماً معه.

جاء الإقرار بالحال والتأكيد على هيئة قصة شعرية تسرد وقائع ثقافة الاستبعاد والاستبعاد، فما بين الحلول والتكثف ترتسم الحياة بسياساتها ومسافاتها اللامحدودة، لأن الغربة تجاوزت المكان وانطلقت في فيافي النفس، إذ لا انتماء، وحدها الغربة، تسطر حالهم، فهم رحلٌ لا استقرار لهم. ففي الجملة الثقافية (رأيت بني لبني) يؤكد الشاعر فعل الرؤية البصرية والبصيرية، فهو لا يرى فحسب، بل يعيش ثقافة الغربة والعزلة الهامشية الواقعة في فقدان الاستقرار والعلاقات الاجتماعية.

إن المقولة الرئيسة التي يؤد النسق الشعري إيصالها في ضوء صراع المركز مع الهامش، تكمن في محاولة الشاعر تشكيل صورة سالبة للمركز، فالتهديد الذي يمارسه المركز ما فتئ يشكّل داءً يُصدّع العلاقة بينهما. وفي هذا الإطار تعلق نبرة الاحتجاج حادثة مؤكدة الصراع بين المركز والهامش في خطاب تأبط شرّاً الشاعر الغراب، فيقول⁽¹⁵⁾:

قليل اِدْخَارِ الزَّادِ، إِلَّا تَعْلَةً وَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ وَالتَّصَقَّ المَعَى
يَبِيْتُ بِمَغْنَى الوُحْشِ حَتَّى أَلْفَنَهُ وَيُصْبِحُ لَا يَحْمِي لَهَا -الدَّهْرَ- مَرْتَعاً

يرسم الشاعر صورة غنية بالدلالات، مشغولة بدقة لتبرز مشهد المعاناة في أقصى لحظات الهامشية والتغريب، على الرغم من تحديده حالة الأنسنة أداة نحو التعالي عن واقعية الحال، ومحاولته إكساء الواقع طبيعة مفارقة لطبيعته، فهو يقرُّ في إخباره بما توصّل إليه جراء صروف التسلُّط، وثقافة التهميش في واقع استلابي انهزمت فيه الذات رغم اشترابها ومحاولتها النهوض/يبيت، ويصبح/. فقد كئى عن ألفته عالم الاستلاب بالصبر ومشقة التحمُّل. تُعدُّ هذه العبارة/قليل ادخار الزاد.../ موضع نبر معنوي، وبؤرة دلالة على ثقافة الهامشية والتغريب، بفعل الجوع والحرمان، وما يضمّر هذا الفعل من ثقافة مركزية نبذت الآخر.

تظهر الانفعالات الذاتية رغم تواربها داخل النسق، ويتوارى الاستفهام الإنكاري التعجبي في أعماق الجملة الاسمية الخبرية/قليل ادخار/، والفعلية الخبرية/نشز الشرسوف/؛ ليشكّل تواربه مدخلاً رئيساً لكشف زيف القبيلة وجور قوانينها؛ إذ تبلغ الهامشية ذروتها في الصراع القائم بين نسق القبيلة بقوانينها الملزمة؛ ومتمردية الرافضين، بين الانتماء والاعتراب، بين المبيت والإصباح، بين التوحُّش والألفة؛ لتتفوق الوحشة ويسطو الاعتراب على الذات، فالصبر عند بعضهم سلاح ضد الهامشية.

وتأسيساً على هذا فإن الجملة الثقافية/يبيت بِمَغْنَى الوُحْشِ حَتَّى أَلْفَنَهُ/ تكون إشارة فاعلة للدلالة على صراع المركز والهامش؛ حيث يغدو الوحش صورة إسقاطية لواقع الغربة المعيشة، الواقع الذي تسلط فيه المركز، ومارس فيه التغريب. ولابد من الإشارة هنا إلى أهمية الزمن، أو الدهر الذي يحمل دلالات سلبية تناظر وتعادل المركزية في سطوتها. وقد تولّد الهامشية إحساساً بالمركزية من باب قدرة الذات على التفوق على ذاتها.

ومن بؤر الاعتراب ذاق الصعاليك الضياع الجسدي والنفسي؛ وقد فاقت معاناة الصعاليك الأغربة الهامشية غيرهم؛ فهم أول من صَبَّفُوا في أدنى المراتب الاجتماعية⁽¹⁶⁾؛ وليس أدل على ذلك من السُّلَيْك بن السُّلَيْك الذي وَلَجَ محرقة التهميش، في تغريبه، وعتق الانتماء إلى صحراء المشردين، حيث أودى به إلى الإغماء في قيظ الصيف وحرّ القاسي، يقول في ذلك⁽¹⁷⁾:

وما نلُّها حَتَّى تَصَعَلَكُ حَقْبَةً، وَكِدْتُ لِأَسْبَابِ المَنِيَّةِ أَعْرِفُ
وَحَتَّى رَأَيْتُ الجُوعَ بِالصَّيْفِ ضَرَّتَنِي إِذَا قُمْتُ تَغَشَانِي ظِلَالٌ فَأَسْدِفُ

لعلّ عبارة/وما نلُّها حَتَّى تَصَعَلَكُ حَقْبَةً، وَكِدْتُ لِأَسْبَابِ المَنِيَّةِ أَعْرِفُ/ تشكل فاتحة ثقافية تؤدي دوراً مهماً في تقديم أبعاد المشهد، لتتيح للمتلقّي تخيُّل كيفية حركة الذات المهْمَشَة؛ في ما تتغيّاه من نوال، ما تشتهييه من عطايا وثروة (إبل)، من خلال الرزوح تحت نير الغربة والهامشية.

تختصر مفردة (حقبة) زمنية النسق الثقافي المزوج تحت ظلاله حتى نالت ما تريد الذات الشاعرة، وتختصر الجمل الثقافية في تقريريتها حال الهامشية التي كادت تؤدي بحياة السُّليك بعد أن استنفد جسده كل طاقاته ومدخراته، فهو رازح تحت وطأة الغربة والتغريب عن ثقافة السلطة القبلية، رزوح أقرب إلى واقع الموت /المنية/، وهل أبلغ من المنية تعبيراً عن ثقافة جرّت معها استلاباً وجودياً في حقبة كادت تختصر حقب الصعلكة كلها؟

يكثّف الفعل /رأيت/ مفعوليّة الويلات اللاحقة بالذّات الشاعرة، التي تعيش ثقافة الجوع، وتبرح به، ويكثّف الفعل الماضي /ضرّني/ الحّمّال ثقافة الاستيلاء والاستلاب الوجودي الذي ترزح الذات المهمّشة بأفعالها، /قمت، تغشاني، فأسدف/ التصويرية التعبيرية تحته، ما يؤكّد ثقافة القهر، وصراع الذّات النّاقمة على مصادر استعبادها؛ وهنا يتعالى النسق الشعري وهو يحاول الصمود والبقاء استناداً إلى معايير أخلاقية فهو المضمّر الكاشف عن النسق الرئيس وهو نمط الحياة المعيش، ذلاً، وجوعاً وقهراً بفعل السلطة.

لقد كشف الخطاب عن ثقافة الأنومية الواقعة على المستوى الاجتماعي، وما أفرزته من غربة، واغتراب وهامشيّة، وغياب للمعايير والضوابط التي تنظم السلوك الفردي والجمعي. تتعزز ثقافة الأنومية والانتماء في نسق الغربة والاضطهاد التي عاشها (حبيب الأعلام) وأفراد قبيلته مع الآخر-المركز- الذي كئى له التهميش، والانزياح خارج دائرة الإنسانية؛ حين كال له سواد النفس في قبح التعامل من قبل رجل يقال له (حُبشيّ)، لم يُضِفْهُ، وإلْدَتَهُ، ولم يَقْرَبْنِ صغار، فقال الأعلام⁽¹⁸⁾:

تَرَوَّحْتُ حُبْشِيّاً فَأَتَرَحَّ إِلْدَتِي كما زُحِرِحْتُ عِنْدَ الْمُبَارِكِ هَيْمُهَا
أَحْبِشِيّ لَمْ تَشْمَتْ أَوَانُ شِمَاتِي وللدَّهْرِ أَيَّامٌ رِغَابٌ كُلُّومُهَا
جَزَى اللَّهُ حُبْشِيّاً بِمَا قَالَ أَبُو سَأ بما رَامَ أَشْيَاءَ بَنَا لَا نَرُومُهَا

يمكن فهم فكرة التهميش والاستبعاد ضمن السياق الكلي للنص الذي ينطوي في بنيته العميقة على مركزية الصراع بين نسق الهامش /الشاعر، وبين نسق المركز/ الحبشي الذي يشكّل إشارة ثقافية إلى عبثية المركز وانسجامة مع قوى الدهر.

إنّ ما طرحه الشاعر من مفاهيم تتعارض مع الزمن؛ يشي بالعلاقة القائمة بين السيد والمسود -(هيمها)؛ فهي لا تقوم على مبدأ التعالي الإنساني فحسب، فمضمّر النص يشير إلى أنها علاقة جديدة، قائمة على جبّ المفاهيم والنظرة إلى الهامشي لا على أنه دوني فحسب، بل على أنه أقل من الدوني.

ففي مضمّرات النص تكمن صور الاستلاب والدلالات الموحية على صراع الذات - الشاعر بالآخر - الحبشي المركز. ونظرة معمقة إلى مضمّرات النسق توقعنا على ثقافة اللّانتماء والتغريب التي يعيشها أفراد المجتمع؛ فالفعل (تروحت) إشارة ثقافية تشي بالسعي التماساً للراحة، وتضمّر عالماً من العذاب، فإن تسعى الذات للراحة فهي في حالة من العذاب والضيق، أما الفعل (أترح) فإشارة ثقافية إلى تكريس مفهوم الشقاء، وتأكيد مفهوم الرضوخ تحت نير المركز؛ فالإنتراح إحزان، والراحة هي الممكن الأقل طلباً، ليس هذا فحسب؛ فهم أقل من مرتبة إنسان، وأشبه بالحيوانات التي تستبعد لمرضاها (كما زُحِرِحْتُ عِنْدَ الْمُبَارِكِ هَيْمُهَا). وفي مضمّر هذه الجملة الثقافية مركزية قاسية؛ وواقع ثقافي لا يعير بالاً للإنسانية إلا في المرتبة الاجتماعية.

تكثّف اللوحة الفنيّة انفصال القبيلة-السلطة-المركز عن الصعاليك -الهامش لعلّة الفقر، هذا الانفصال الذي بدأه المركز (الحبشي) -الذي يضمّر في وقعه الموسيقي قسوة وغضباً وتوحشاً- وما تكرار الاسم مرات ثلاث إلّا إشارة إلى سطوة مضاعفة، وأثر سلمي قاس في وجودهم؛ لذا من حرقة وعذابه يناديه الشاعر (أَحْبِشِيّ) نداء القريب الذي

نقرأ فيه تهديداً، ووعيداً، (للدَّهر أيام رغب كلومها). يؤكد الشاعر عدم ثبات الزمن، وأرجحيته، بين أيام سوداء وأخر بيضاء؛ فانتظر حكم الزمن -أيُّها الحبشي- الذي تغدو فيه سلطتك مثار سخرية وانهازم.

إنَّ الفكرة المضمَّنة تشي بمساعي الهامش الانعتاق من أسر الهامشية والدخول ميدان الذات الموجودة عند أطراف المركز؛ لكن الإيمان ببلوغ المرتأى البعيد لم يجد نفعاً، رغم المساعي كانت الخيبة ترجمة لنسق ثقافي يؤكد الرزوح تحت هيمنة القوة الاستلابية. بدت لغة الشاعر قابضة بدلالاتها وإشاراتٍها على الوظيفة النسقية التي تؤديها الصور الثقافية الدالة.

وتجسد إشكالية العلاقة بين الهامش والمركز في المجتمع الجاهلي صراعاً وجودياً بين رغبتَي الهامش في تحقيق وجوده القِيَمِي في رؤيته للحياة، ونظرة المركز إلى هذه القيم، فإذا ما أساء المركز قابله الهامش بالخضوع عودةً إلى مضارب الانتماء القبلي، خضوعاً يتخلَّله شعور بانزياح الهوية، والاعتراب عن مجتمع لا يقيم وزناً لفقر أو غراب، ويسعى إلى تهميشه؛ كما يوضح الأعلام الهذلي في بيتيه اللاحقين اللذين يذكر فيهما غربته عن أبنائه في العراء في قوله⁽¹⁹⁾:

رَفَعْتُ عَيْنِي بِالْحِجَا زِلِي أَنَا بِمَنَاقِبِ
وَذَكَّرْتُ أَهْلِي بِالْعَرَا وَحَاجَةَ الشُّعْبِ التَّوَالِبِ

يقدم النص التقاء لا لبس فيه بين حركة الجسد /رَفَعْتُ عَيْنِي/. والنفس /ذكرتُ/؛ في حالة استنكار من ذات تعيش هامشية وغربة، رغم حضورها الفتي عبر ضمير المتكلم (تُ) الذي يشكِّل مفتاحاً رئيساً لرصد العمق النفسي للشاعر، فمن الفعلين (رفعت، وذكرت) نستقرئ مساعي الذات الشاعرة للنهوض فوق الواقع المهزوم، وانتماء إلى نسق ثقافي يؤكد واقع الاستلاب المعيش، وواقع التهميش والمهمشين.

ولعلنا لا نسرف بقولنا: إنَّ ذكر الشاعر أهله يدلُّ على ما يعتلج في أعماقه من قضايا تتعلق بالوجود المستلب، ففعل العين المرفوعة استغراباً واستهجاناً هو صوت إيمائي صارخ رافض مبدأ الواقع الاستسلامي الانهزامي؛ الذي أرث غربةً وهامشيةً، في جوار /أناس المناقب/ الأغنياء المترفين الذين يغذون الاعتراب النفسي أكثر. وقد تشكل هذه الأسماء /الحجاز، المناقب، العراء/ علامة إشارية فاعلة تنكشف بوساطتها حقيقة الصورة المسلكية لقطبي الصراع: (الهامش والمركز).

المركز: ثقافة تضطلع بالغاء الآخر؛ هدفها ترسيخ وجود الذات على حساب الآخر، (الهامش) الذي وإن غرق في هامشيته، وعانى الغربة والنقص في مقومات الوجود لديه فإنه لم يعدم ضرورة الانتماء إلى المركز من باب الانتماء إلى الوجود، أو من باب التماس حرية الذات رغم يقينيته بعدم جدوى فعالها.

حاجة الهامش إلى المركز:

ولأنَّ حاجة الضعف إلى القوة كانت التماساً للمقاومة كانت حاجة الهامش إلى المركز سعيّاً إلى الحضور، كانت حاجة الجزء إلى الكل. وليس أدلَّ على ذلك من مساعي (قيس بن الحداية) إلى الانتماء إلى قبيلته من خلال مشاركته قبيلته خزاعة في الغزوات والغارات؛ دفاعاً عنها، ففي الأغاني ورد أنَّ بعض الأزديين من قوم قيس بن الحداية أغاروا على هوازن وبني عمرو بن عامر، فقتلوا وسبوا واستاقوا أموالاً، ثم انتقمتم هوازن فأغارت على حي من الأزد، ومن والاهم، فقتلوا وسبوا واستاقوا أموالاً⁽²⁰⁾، وقال في ذلك مفتخراً بقوته، ملتصقاً بآدميته⁽²¹⁾:

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ قُبّاً بَطُونَهَا نَرَاهَا إِلَى الدَّاعِي الْمُتَوَبِّ جُنْحَا
بِكُلِّ خُزَاعِيٍّ إِذَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ تَسْرَبَلُ فِيهَا بُرْدُهُ وَتَوَشَّحَا
قَرَعْنَا قُشَيْرًا فِي الْمَحَلِّ عَشِيَّةً فَمَا يَجِدُوا فِي وَاسِعِ الْأَرْضِ مَسْرَحَا

قَتَلْنَا أبا زَيْدٍ وَزَيْدًا وَعَامِرًا وَعَرَوَةَ أَقْصَدْنَا بِهَا وَمُرَوَّحًا
وَأَبْنَا بِإِبْلِ الْقَوْمِ تُحْدَى وَنَسْوَةً يُبَكِّينَ شِلْوًا أَوْ أُسِيرًا مَجْرَحًا
غَدَاةً سَقِينَا أَرْضَهُمْ مِنْ دَمَائِهِمْ وَأَبْنَا بِأُدْمِ كُنَّ بِالْأُمْسِ وَضَحًا

نقع في النصّ على جدلية تبرز تراوح الزمن بين غالب ومغلوب، بين ضعيف وقوي، بين مركز وهامش ساع إلى التمسك بأطراف المركزية. وليس أدلّ على ذلك من (نا) الدّالة على الفاعلين، الحاضرة بقوة في أفعال القوة (جلبنا، قرعنا، قتلنا، أبنا، سقينا)، ومضمراتها التي تشي بها ألف الإطلاق، التي تحمل معها شحنات نفسية محمّلة بالآهات؛ ولعلنا لا نبالغ في قولنا: إنّ ما تقدّمه الأحرف القوية من جلجلة حرب، وقسوة، تعادل واقع القسوة المعيش بفعل التهميش، فحرف القاف حرف قاس وقوي ويشي بواقع القوة والقسوة خلقاً لعالم تتيقظ فيه القوة النفسية فيعلن الهامش هنا مركزيّة حضور ذاتي.

ترصد الأبيات جدلية صراع بين المركز والهامش، من خلال صراع الطرفين المتضادين اللذين يبرزهما النص في تكثيف بلاغي إشاري تنقله لنا الجمل الثقافية بمضمراتها ومدلولاتها القريبة والبعيدة، فجملة /نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ قُبًّا بِطُونُهَا/ إشارة سيميائية ثقافية إلى سطوة الأنا الجمعية، وفعل الغلبة الذي يضمّر نسق الاستلاب الوجودي المعيش، والشروط هنا /يَكُلُّ خَزَاعِي إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ/ يفتح أفق الدلالة على عالم الذات الطامحة بالنهوض من عالم التهميش إلى المركزية؛ إذ تختصر "نا" الدّالة على الفاعلين تعطش الذات المهمّشة إلى الوجود بفعل القوة، والغلبة، /قَتَلْنَا أبا زَيْدٍ وَزَيْدًا وَعَامِرًا/؛ إذ لا يتحقّق الوجود ولا تكون فاعليته إلا بقتل أبي زيد وعامر، فانتفاؤهم يحقق للذات قيمة؛ فمع الغالب مغلوب، ومع الفاعل مفعول، ومع النصرة الذاتية المركزية للهامش هامشية للمركز /ونسوة يبكين شِلْوًا أَوْ أُسِيرًا مَجْرَحًا/.

لعلّ هذا الصراع يطفئ نار الشاعر الساعية إلى التهام من غريبه؛ لذا يرى في سفكه دم الآخر انتماء للذات، /غَدَاةً سَقِينَا أَرْضَهُمْ مِنْ دَمَائِهِمْ/ يشي هذا التصوير الاستعاري المكثّف بثقافة العطش التي غيّبها مفهوم السقيا، وانطلاقاً من مثل هذه المفارقات يتكتّف المعنى الشعري وينفتح النصّ على واقعة الانتماء ومساعي الانتماء التي يقوم بها الهامش للمركز رغم مساعي النبذ التي يقوم بها المركز للهامش.

إنّ الواسمات الأسلوبية التي وسم بها الصعلوك الشاعر قصيدته تشكل سبيلاً لاستكناه الإشارات الدالة على قوة الذات الصعلوكية، وعدم استسلامها إلى واقع الأنومية واللائتماء. ففي مشهد شعري -آخر- يصف حاجز الأزدي -الذي ينبري للثبات ومقاومة الأعداء والجود بالنفس والمال- غلبته على المغيرين، ورميه لهم يمّة ويسرة، قتلى وأشلاء، أمام تقاطر جموع من قبائل اليمن، فهم (خثعم وزبيد، ومذحج وصُدَاء، ودُعَيّ وبنو شِعار) وغيرهم، على بني الأزدي يريدون اجتثاثهم على حين غرّة، في قصيدة نستغور فيها انتماء البعيد إلى القبيلة؛ إذ ينادي باسمها في المعارك، بالغأ حد التماهي بها، بقيامه مقام السيد الصائين لها، الحاثّ على نصرتها والقائد لانتصاراتها، يقول⁽²²⁾:

فَجَاءَتْ خَثْعَمٌ وَبَنُو زُبَيْدٍ وَمَذَحُجٌ كُلُّهَا وَأَبْنَا صُحَارٍ
وَجَمْعٌ مِنْ صُدَاءٍ قَدْ أَتَانَا وَدُعَيٍّ وَجَمْعٌ بَنِي شِعارٍ
فَقَالُوا: يَا لَعَبْسٍ نَازِعُوهُمْ سِجَالِ الْمَوْتِ بِالْأَسْلِ الْجَرَارِ
فَقُلْنَا يَا لَ يَرْفِي ماصِعُوهُمْ فَرَارُ الْيَوْمِ فَاضِحَةُ الدِّمَارِ
لَمْ أَبْخَلْ غَدَاتِنِ بِنَفْسِي وَلَا فَرَسِي عَلَى طَرْفِ الْعِيَارِ

تبدو الذات المهمّشة هنا متشحة برداء التسامي الذي يحدد لها سبيل التمركز من خلال إعلاء صوتها على الآخر، في إطار الاعتداد بالنفس؛ إذ تكشف القراءة الثقافية لهذه الأبيات أنّ الشاعر يعمد على فضح سلوك النسق الضدي

رمزياً. لعلّ التكتيف الدلالي الذي تحمله الصور الشعرية الثقافية يُظهر المسكوت عنه في مضمير النص؛ إذ تبدو الذات الشاعرة الناهضة من عالم الاستلاب الوجودي مسربة بالسقوط؛ ف/الذات والفرس/ دالان ثقافيان على ذات تجهد لتقديم ما ملكت أيماها في سبيل تحقيق مركزية مبتغاة /لَمْ أَبْخَلْ غَدَاتِنِي بِنَفْسِي وَلَا فَرَسِي/ لأنها ذات غارقة في هامشيتها التي أفرزتها السلطة القبلية.

تجهد الذات الشاعرة (المهمشة) ما استطاعت لإثبات الغلبة والتفوق الفردي رغم الجماعة الحاضرة في ضمير المتكلم والغائب/أتانا، نازعوهم سجال الموت، ماصعوهم/ في إطار الخطاب الموجّه من /خنعم، ومذحج، وابني صحار، وغيرهم/ إلى عبس ممكن القوة، والغلبة.

وفي وقفة مع حوار الذات -الآخر (فقالوا فقلنا) يحضرنا آخرين، وليس آخرأ واحداً فحسب. الآخر الأول: القبيلة المنتهى إليها المغترب عنها، والآخر الثاني: القبيلة التي تشكّل عدواناً على المنتهى إليها؛ بني عبس، وهي /خنعم وغيرها/، وفي كلا الآخرين تتراءى الذات مستعلية بأنها حدّ المركزية؛ والسبيل إلى ذلك الكرم اللامحدود، والسلاح الماضي في وجه الفناء، والمؤبّس لخلود الذكر. حين قدّمت، أو تسعى لأنّ تقدّم كل ما تملك من نفس وفرس.

ففي عبارة (فقالوا: يا لَعْبَسٍ نازعوهم سِجَالِ المَوْتِ بالأسلِ الجِرارِ) كثافة ثقافية تكونها جملة تحتضن نسقاً من زمن السقوط والاضطهاد، رغم المساعي في إعادة الكينونة للذات. إنه نسق الهامشية المتمركز في قلب المركزية الحاضرة جهرأ في تقديمه ما يملك من بنية وجودي، ففي هذا الجزم النافي للبخل تحضر الذات لتؤكّد سلطة الشر ومركزيته.

لقد تمكن الشاعر بفعل لغته الرمزية المراوغة من تقديم صورة الإنسان البطل القادر على خلق مكوناته الثقافية في صراعه مع الآخر، النسق الفوقي، إذ بدا هذا النموذج قوياً قادراً على تحدي الخصوم ومجاراتهم، وتعزيز قيم الانتصار في الحياة بفعل دحض قوى الشر والتدمير.

1- الهامش المنتمي إلى المركز:

لم يفقد الهامش (الصعاليك الأغربة، والفقراء، والخلعاء) انتماءهم إلى دائرة القبيلة، ولم يتمكنوا من التحرر من عرى المجتمع، وتكوين استقلال ذاتي منفصل، فقد وُجِدَتْ ذواتهم في محيط تسلّط أسياده، وأشعروا الآخرين بانتماء صلاحيتهم، لكن الآخرين لم يستسلموا، بل شعروا بأنّ عليهم إعادة تدوير ذواتهم بما يتلاءم مع واقعهم المفروض، على الرغم من الاغتراب الذاتي، وغياب القيم الإنسانية التي تعطي لوجودهم معناه، وفي هذا التدوير انتقلت الذوات المهمّشة مُسلّحة بإيمان عميق بقدرة الذات على تحدّيها النسق السلطوي إثباتاً لذات هجرها الإحساس بالوجود؛ هذا ما وشت به البنى الدلالية للنص الشعري الذي نسجه الصعاليك بتعالق المركز والهامش لضرورة الاستمرارية والوجود؛ فقد ألغى بعضهم استقلاليته الذاتية لصالح القبيلة، ورأى في وجودها وجوده، وفي انتمائه لها مركزية ذاتية؛ على الرغم من استبطان الصور الفنية ما يشي بانعتاق جذري فردي من المجموع التماساً للوجود الذي هُدر على أطراق القيم الإنسانية. توزّعت مواقف الصعاليك الهُمّش من المركز على مشاهد ثلاثة تبرز في جانب منها؛ تكامل الهامش بالمركز تكاملاً يضمّر مساعي الأول الحثيثة للانعقاد من الآخر؛ وفي جانب آخر نستقرئ هامشاً يبحث عن مركزيته في تهميش المركز، أو هو يبحث عن ذاته بعيداً عن المنظومة القبلية وقوانينها الجائرة؛ التماساً للانتماء وتوقاً للوجود الكامن في الانتماء.

تستوجب منّا دراسة أبعاد الصراع الوجودي داخل النص الشعري قراءة فاحصة تستند إلى تحليل مضمّنات النسق وتبليانها؛ إذ "تتجلّى موضوعة الصّراع عند الجاهليين من خلال ظهور صوت الأنا التي تصنع أفقها، أو عالمها الذاتي إزاء عالم الآخرين"⁽²³⁾ ومن ذلك: فخر الهامش بانتمائه إلى المركز؛ إذ لم يخرج الفخر الذاتي للصعلوك عن

ميدان القبيلة، ففي: "تَغْنِيهِ بذاته تَغْنِيّ بالمظاهر الاجتماعية السائدة".⁽²⁴⁾ وقد يصل فخر الفرد المهمّش بانتمائه إلى المجموع إلى إحساس جماعي بهذه القيمة. وليس أدلّ على هذا الفخر من قول مالك بن حريم الهمداني، الذي يفخر بشجاعته في نصرة القبيلة، والذود عن نساءها لما دهمهم خطب، يقول مالك⁽²⁵⁾:

يا عَمْرُو لو أَبْصَرْتَنِي لَرَفَوْتَنِي فِي الْخَيْلِ رَفَوًا
لَلْقَيْتَ مِنِّي عَرِيدًا يَقْطُو عَلَى الْفُرْسَانِ قَطْوًا
لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَدْخُلْنَ تَحْتَ الْبَيْتِ حَبْوًا
وَسَمِعْتُ زَجَرَ الْخَيْلِ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ: هَيَّ وَهَبُوا
أَقْبَلْتُ أَفْلِي بِالْحُسَا مَ مَعًا رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَلَوْا

إنّ ما يؤسس حركيّة الصّراع وجدليّته في هذا النص نسقان متضادان، كلاهما يجسد رفضه للآخر، في الوقت الذي يسعى الأول منهما (المهمّش) صوب الحياة، مثبتاً فلسفته وفكره الذي تنبني الحياة وفقه على الفعل والحركة، ففي وقفة على النسق الثقافي الكامن كمعطى ثقافي عبر قراءة الميكانيزمات الفاعلة في بيئة النص، تحضرنا سلطة الذات التي تضمر ضعفاً تغطّيها تمظهرات القوة. لقد وجد الصعلوك أن الحل القمين يكمن بالانسحاق إلى الثقافة المركزية.

يطرح الشاعر في الفاتحة النصيّة /يا عَمْرُو لو أَبْصَرْتَنِي لَرَفَوْتَنِي فِي الْخَيْلِ رَفَوًا/ مضمرات النسق الكليّ، من خلال إشارات تؤكّد قوّة الذات في قوة الآخر. والآخر هنا نوعان: النوع الأوّل القبيلة -المركز التي يفخر بمناصرتها لها ويرى ضرورة الانسحاق إليها، والنوع الثاني العدو الذي يجهد الشاعر ما ملكت أيمانه لمقارعته والغلبة عليه، وإثبات ذاته، حتى إنه يستدعي صاحبه مبرزاً أمامه مقدرته وقوته وعظمته، وما استدعاء الصحب في الشعر إلا دليل على جلال الحدث وأهميته.

لقد كشف مسكوت النص عن قصدية الشاعر الواعية في إثبات أنويته، ومركزيته؛ لبناء نسقه الذاتي رغم يقينه بهامشيته؛ إذ لا مناص له من الخروج الجزئي منها إلى وضع الظهور بمظهر المركز، معتلياً بذلك سدّة القوة والأقوياء، في مشاهد القوة المقاومة /أَقْبَلْتُ أَفْلِي بِالْحُسَا مَ مَعًا رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَلَوْا/؛ وهنا تبدو الحاجة إلى الآخر مُلِحَّةً.

ويمكننا القول: إنّ رهبة الموقف وفداحته قادا الشاعر إلى إثبات ذاته ووجوده أمام الآخر، فداعي استدعاء عمرو لرؤيته؛ هو شهادة الآخر للآخر. بدا الشاعر وكأنه يعيش لحظة تنازع بين آخر قريب له، وآخر بعيد عنه، وتشير الصور التي تقدمها الأفعال في حركيّتها: /لَلْقَيْتَ، يَقْطُو، لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَدْخُلْنَ، وَسَمِعْتُ زَجَرَ الْخَيْلِ/ إلى فعل الوجود المركزي الكامن في القيمة الإنسانية الذي يسعى إليه الشاعر هروباً من الفردية والهامشية.

يوظفُ اللغة في مقارعته الهامشية، ونظرة معمّقة إلى المفردات الحمّالة دلالات القهر والقسوة والقوة والطغيان في رموز مغلقة (لو أبصرتني) نقرأ إلحاح الشاعر على تبصر الذات وهروبها من عالم الأنومية (أفلي بالحسام، سمعت زجر الخيل). إنّ المواجهة بين الضمائر المتصلة: (الأنا، والأنثى)، الشاعر والمُخاطَب (عمر)، والضمائر المستترة الكامنة في أطوائهما لهي نهوض بوظيفة النسق المضمر الذي يبرز تمكّن الآخر من الذات، تمكّناً جعلها تلهث إلى إبراز الأنا، وفعل الأنا في الآخر.

فقلوه: /جَوْفِ الظَّلَامِ، وفي رُؤُوسِ الْقَوْمِ/ إشارة مهمة إلى فعل الظلام الوجودي، وتمكّنه من الذات الشاعرة، فهو كناية على فعل الدهر وظلّامه، وهم أصحاب الرؤوس التي مادت بأبناء جلدتها وأزاحت وجودهم وكونهم الوجودي على مبادئ الإنسانية ورمثهم، ما دفعهم ومنهم (الذات الشاعرة) إلى التقاط الذات، عبر القوة.

ثمة وظيفة تهض بها اللغة الواصفة الأنا، والهيم تبرز في عقد علاقات سياقية ودلالية ونغمية تصل بين الألفاظ ومواقعها في تألف مع بقية العناصر التركيبية التي توائم السياق في النهوض بالذات قوةً من بؤر الضعف، كما تضطلع بوظيفة تتمثل في عقد علاقات مع أطراف لغوية إحالية متباينة: (رَقَوْتَنِي فِي الْخِيلِ رَقَوَا، يَقْطُو عَلَى الْفُرْسَانِ قَطُوءًا، يَدْخُلْنَ تَحْتَ الْبَيْتِ حَبُوءًا: هَبِي وَهَبُوا، أَفْلِي بِالْحُسَامِ مَعًا رُؤُوسَ الْقَوْمِ قُلُوءًا)، ما يشيع بعداً رمزياً معبراً عن تكثيف الذات الحاضرة رغم الغياب من خلال رسم عالم من الأحداث التي تندمج معانيها.

ويمتد الفخر بالذات المهمّشة في مركزيتها الحاضرة ليشمل القبيلة -المركز والملاذ والمنتهى إليه في نسق يضمّر البحث عن الذات والأنا في ما يتضاد معها، إنه انتماء إلى القبيلة، رغم جب القبيلة. ونلتمس في الفخر بالانتماء مساعي التمسك بها، من خلال:

-فخر الذات (الهامش) بالآخر - القبيلة (المركز): وهو شكل آخر من أشكال تعبير (الذات) عن قبول الآخر/ المركز بها)، ويظهر فيه ارتباط الهامش بالمركز بشكل قوي، فيبدو المركز -القبيلة هنا مساوياً ذات الهامش، ويغدو حديثه عنها كحديثه عن نفسه، وفخره بها كذلك، رغم أن فخر الصعاليك بأقوامهم أو بلسان أقوامهم لم يكن أمراً مألوفاً في شعرهم⁽²⁶⁾؛ إذ نجد بعض أشعارهم جاءت من هذا القبيل تحاور فيها "الذات الشاعرة الآخر عبر تأكيد الهوية القبلية"⁽²⁷⁾، والارتباط بها. ولنا في ذكر تأبط شرّاً قبيلتي فهِم وَعَدَوَانْ، ذكراً حسناً خير دليل؛ يقول فيهما مفتخراً⁽²⁸⁾:

فهِمُّ وَعَدَوَانْ قَوْمٌ إِنْ لَقَيْتَهُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَ كُلِّ مُصَبِّحٍ
لَا يَفْشَلُونَ وَلَا تَطْيِشُ رِمَاخُهُمْ أَهْلُ لُغْرِ قَصَائِدِي وَتَمْدُحِي

يكتسب النص -هنا- نظاماً دلالياً ترميزياً مختلفاً، فيسمي القبيلتين/ فهم وعدوان/ في بنية دلالية يستشرف من خلالها الذات في الآخر، بعيداً عن واقع الاغتراب المعيش الذي يشي بالانغلاق والإحساس بالفناء؛ إذ يضمّر إقراره بشجاعة القوم غربة ذاتية، يجهد في تبديدها إعلاماً بذاته.

لا يستسلم الشاعر للواقع، فهو يوظف لغته للتعبير عن ذلك، فيجمع المتناقضات لتجسد الواقع الأليم بكل مفارقاته في النسق المضمّن، فلعلّ قوله: /إِنْ لَقَيْتَهُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ/ تأكيد لتفرد القبيلتين بفعل الخير، وبعدهم عن المثالب؛ فهم /لا يَفْشَلُونَ، ولا تَطْيِشُ رِمَاخُهُمْ/ متفردون بقوتهم تفرداً دفعه إلى استثنائهم عن غيرهم. طرفان متناقضان على مستوى الوجود (هامشية الشاعر، ومركزيتهم)، متضافران على مستوى العمق، يجهد الطرف الأول للحاق بالثاني نيلاً لوجود مبتغى. وفي وقفة على الضمير المتصل (واو الجماعة) تتلامح أمامنا إشارة ثقافية تشي بقوة حضورهم الذي يغدّي وجوده. ولعلّ الإلحاح الشديد على هاء الغائب هو ما يجعل القارئ - متيقناً - بعجز الذات الشاعرة عن الإفلات من الإسار القسريّ لسلطة فهم وعدوان. ويعمّق التكرار اللفظي ل(لا النافية) والتكرار المعنوي لمشهد القوة الذي يشكّل جملة ثقافية نسق القوة والمركزية النسق الذي يضمّر بين أطوائه ذاتاً متمردة، كشف الولاء المطلق للآخر خذلانها.

يتدرج الشاعر في أحداث القصيدة؛ محاولاً بذلك تكثيف الحدث ليصل به إلى نقطة التأزم والانكشاف، والذي ظهر بانتقاله إلى صبيغ النفي التي بنيت في أطوائها على ثنائيات ضدية عميقة يقصد بها ذاته التي لا تطيش ولا تفشل في مقابل ذواتهم التي تقوده وتدفعه إلى ذلك.

لذا المهّمّشون بالمحاولات اعتقاداً من أسر الفناء، منتهجين سبيل الانتماء بأدواتهم، ساعين إلى التكيّف، والمواءمة مع من لَقَطَهُمْ؛ ولعروة بن الورد العبسي هامشية وجودية تستبين في مضمرات النص الشعري الذي يصف فيه غزو قومه لبني عامر؛ فيقول⁽²⁹⁾:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً إِذْ تَمَرَّسَتْ عُلَّالَةُ أَرْمَاحٍ وَصَرَبًا مُدْكَرَا

بُكِّلَ رَقَاقِي الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ وَلَدْنِي مِنَ الْخَطِيّ قَدْ طُرَّأَسَمَرَا
عَجِبْتُ لَهُمْ، إِذْ يَخْنِقُونَ نُفُوسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ، تَحْتَ الْوَعَى كَانَ أَعْدَرَا

يطغى النسق المتحول على النص بكيته من خلال تجلي الأنا المعتدة بنفسها رغم هامشيتها؛ من أجل تأسيس عالمها؛ "فالأنا هي الوحدة الدائمة التي تكمن وراء كل تغير، وهو الشيء الذي لا يمكن تعريفه إلا بحدود نفسه الخاصة. ويضمهر هذا النسق فلسفة الشاعر تجاه الحياة بالتأكيد على ضرورة الفعل أو العمل وإيجابيته بدلاً من الاستسلام والركون إلى القول"⁽³⁰⁾.

ومن هنا فإنّ مكونات النص تتأزر لإنتاج الصورة الكلية للقصيد التي قامت على جدلية الأنا/ الآخر، المركز/ الهامش، وفق جملة من التعابير ذات المعطيات الثقافية، فالحقل الدلالي ينصبُّ كله لإبراز المعنى/ تمركز الهامش أمام المركز.

ثمة ذات حاضرة وآخرا؛ كلاهما مركز، لكن انتماء الشاعر للأول معلن بجملة في وقت يعلن فيه خصومة الثاني، المركز الأول تجمعه حروف ال(نحن)؛ إذ يرفل في أطوائها الهامش المفتخر، فيما يمثل المركز الثاني (عامراً)، الذي يتمثل انتماؤه إلى المركز عبر نبذة الفخر والتحدي والقوة والفعل؛ البؤرة التي تتكئ عليها المفارقة ذات المعطيات الثقافية. وهذه الجملة الثقافية /نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً/ إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على نسق النزوع إلى إسكات لغة الاستسلام، والاستعاضة عنها بلغة تفتح على لغة الحضور، وفق إمكانات عديدة لقراءة المعنى، وفهمه وتأويله ومحاولة ربطه بسياقاته المرجعية وأبعاده الترميزية؛ وقد تدلّ على نزوع مطلق إلى الأنا الحاضرة في الآخر؛ إذ يشكّل الضمير المنفصل /نحن/ إشارة ثقافية تضمهر الأنا بقدر ما تظهر براعتها في تحويل الوقائع، ورسم أشكال الصباحات التي تبدأ بالإغارة على (المركز) عامر، وليس عبثاً أن استحضّر اسم العلم (المغار عليه) جمعاً، فهو إحياء -من جهة- بالمصادقية والواقعية، والأثر الذي تركه عامر في نفوس المغيرين قبل الإغارة من جانب، ودلالة الاسم والجذر اللغوي له من جانب آخر، ف(عامر) من العمار والتعمير والبناء، فأى عمار هذا الذي جاؤوه بالهدم والدمار إصباحاً؟ ثمة مفارقة تصويرية يبرز عبرها الشاعر من خلال سيميائية الصور الحركية /تَمَرَّسْتُ غَلَالَةَ أَرْمَاحٍ وَضَرْباً مُذْكَراً/، القوة في وجه الضعف، والحركة تجبّ السكون وتقتله، وتقلب الموازين. كما فعلت الرماح. إنها الذات الجمعية التي تنال من الآخر.

وظّف الشاعر أفعاله الحمّالة معاني التمركز في الهامشية توظيفاً يتساق في إيقاعه مع الحركة، فالفعل المضارع /يخنقون/ حمّال مشهد الأنا العليا التي فرضت ولاءها للقبيلة في حمايتها والدفاع عنها، ففعل الخنق إغناء مارسه الآخر على نفسه بفعل قدرة الذات المهمّشة المتمركزة في آن معاً، التي تؤكد فرادتها في قوله (عجبت)؛ ففعل العجب -بطبعه- ليس عملاً جماعياً، بل هو فردي، فليس (عجبت) هنا للخروج على الإجماع القبلي، ولا ينم على ذلك، ومشهد الأبيات السابقة -كلّه- مشهد جماعي يحكي قوّة القبيلة، التي تحقق التوازن في الحياة الجاهلية.

إن التّماهي هنا بين (الأنا والآخر-القبيلة) بيّن وواضح، بل إنهما -في هذه المرحلة- ذات واحدة اسمها القبيلة، ففي المقاومة قيامة، وفعل بدلالة التقاطع بين الذات والآخر، وبين نحن والآخر، وما يقبع فيهما من مضمر ثقافي، يشي بمساعي الوجود وثقافة التّحدّي والبقاء، ونبذ الاستسلام. إنه صراع الذات والآخر-القبيلة، وصراع نحن بما فيهم الذات والآخر-العدو؛ سعيّاً لتهميش التهميش ومركزية الأنا.

وفي ميدان إعلاء الذات الشاعرة المهمّشة إلى عالم المحورية أو المركزية لم يرقيس بن الحدادية بدءاً إعلان غلبة ذاته وتفوّقها؛ فقد جاء في أخباره أن قبيلة قيس عيلان رغبت في سدانة البيت الحرام، وكانت خُزاعة عليه، فسارت

قيس في قبائل من العرب تريد أن تنزعه من خزاعة، وأمّرت عليهم عامر بن الظرب العدواني⁽³¹⁾، فساروا إلى مكة في جمع لهم، وخرجت عليهم خزاعة فهزمتهم، ونجا أميرهم عامر على فرس له⁽³²⁾ فقال قيس يخاطبه⁽³³⁾:

لَقَدْ سُمْتُ نَفْسَكَ يَا بَنَ الظَّرْبِ وَجَشَّمْتُمْ مَنَزِلًا قَدْ صَعُبُ
وَحَمَلْتُمْ مَرْكَبًا بَاهِظًا مِنَ الْعِبَاءِ إِذْ سَقْتُمْ لِلشَّعْبِ
يَحْرِبُ خَزَاعَةَ أَهْلِ الْعُلَا وَأَهْلِ الثَّنَاءِ وَأَهْلِ الْحَسَبِ
هُمُ الْمَانِعُو الْبَيْتِ وَالذَّائِدُونَ عَنِ الْحُرْمَاتِ جَمِيعِ الْعَرَبِ
خَزَاعَةُ قَوْمِي، فَإِنْ أَفْتَخِرْ بِهِمْ يَزْكُو مُعْتَصِرِي وَالنَّسَبِ
هُمُ الرَّأْسُ وَالنَّاسُ مِنْ بَعْدِهِمْ دُنَائِي وَمَالِ الرَّأْسِ مِثْلُ الذَّنَبِ

قد تعطي الأشياء المضمرة دلالات تتناقض مع معطيات الخطاب، وعليه يمكننا رصد النسق المضمّر في العبارات والصور التي تؤكد ثراء النصّ الإبداعي، وتعدّد دلالاته وقراءاته؛ إذ تتلاحق الصور؛ بمقدار غموضها وما تضمّره من معانٍ في أنساق؛ فالإحساس بالانتماء فاق التوقع، درجة بات الفخر بالنصر جماعياً، وصل حدّ الفخر بصفات القبيلة ومآثرها، في هذا التعبير تغيب الأنا المَهْمَشَة -ظاهراً- في الأبيات، ما خلا حضورها جهرية في قوله: (خزاعة قومي)؛ ليحضر اسم القبيلة (خزاعة) مرتين. وفي هذا نفع على بؤرة نسقية، أو جملة نسقية تختزن في أطوارها أبعاداً ومدلولات نسقية عميقة تجعل القارئ يلج إلى النص متيقناً من مركزية المركز وهامشيته في آن، ومتخيلاً للأحداث التي تجعل من هامشية الهامش مركزياً. يقرُّ الشّاعر مؤكداً مركزية خزاعة وأهميتهم، في مقابل هامشية الآخرين الذين ينوب عنهم (ابن الظرب) الذي لاهمه قيس، لبدئه المعارك، عبر أفعال حمّالة معنى القوة والقدرة والفعل، /جَشَّمْتُمْ، حَمَلْتُمْ، سَقْتُمْ/ التي شكّلت حوامل ثقافية ذات دلالة كبيرة على التأسيس الذاتي لمفهوم الوجود، الذي يبدأ وينتهي بمركزية قوامها القوة والتقاتل، استلاباً لفعل الاستلاب. فليست خسارة ما يعيشه ابن الظرب، إنما خسارات كثيرة على صعيد الذات والإنسانية، /حَمَلْتُمْ مركباً باهظاً/؛ ليفتح أمام القارئ آفاقاً واسعة، ومخيلات وتسؤلات عن ماهيتها من جانب، وإن جعل من هذه الخسارات مختصة بالآخر من جانبٍ آخر. ففي قوله: /خَزَاعَةُ قَوْمِي، فَإِنْ أَفْتَخِرْ بِهِمْ يَزْكُو مُعْتَصِرِي وَالنَّسَبِ/، جملة ثقافية بدلالة اكتنازية وتعبير مكثف لواقع يبعث مشاهد الهامشية وتأكيد وجود الذات السلطوي.

إذن: قد يتقاسم المركز والهامش واقعاً معيشاً، وفكرة، أو يأخذ واحدهما دور الآخر "فيرتد المركز إلى هامش، فهو مركز ولا مركز؛ لأنه هامش، وهو هامش ولا هامش لأنه مركز، فهو في آن واحد مركز وهامش، وفي اللحظة ذاتها لا مركز ولا هامش."⁽³⁴⁾

خاتمة:

عكس خطاب الصعاليك مفهوم الأنومي في نمط حياتهم، وفي الخروج على معايير المجتمع، والتطّرف، وتحقيق الانزياح عن قيمه السائدة، كما عكس تمرّدهم على قيم المجتمع وعلى نظام السلطة وثقافتها المهيمنة. فبعد أن خرج الصعاليك على الأفكار النازمة للبنية الاجتماعية الجاهلية، وكونوا انتماء قبلياً مختلفاً عن المألوف المعتاد في القبيلة، وشكّلوا (ذاتهم) في مقابل الآخرين، كوّنوا ثقافة مناهضة لثقافة الآخر، وهويّة تجبُّ هوية الآخر، والقارئ المتمعن لنصوصهم القصيرة ومقطعاتهم التي تتناسب وحياتهم المقطّعة الأوصال، المتسارعة تسارع أنفاسهم اللاهثة بحثاً عن وجود يقع على نسقين متعارضين هما نسقا الهامش و المركز. اللذان تصدّر جدل الصراع بينهما جُلَّ

النصوص الشعرية، التي أضمرت بناها الثقافية إغراق المركز في مركزيته، ومساعي الهامش للاعتلاء حيث أطراف المركز تحقيقاً لوجود طال استلابه.

الهوامش والإحالات:

- (1): النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، يوسف عليمات، اربد، عالم الكتب الحديث، طبعة أولى، 2009، ص165
- (2): النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية الدكتور جبروم ستولينز، ترجمة فؤاد زكريا ف جامعة عين شمس - القاهرة، دط 1974، ص681
- (3): ينظر: الأطر الاجتماعية للمعرفة، جورج غورفيتش، ترجمة د. ليل أحمد ليل، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006، ص16 وما بعدها.
- (4): لسان العرب، مادة ركر
- (5): مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة البحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 1999، ص461.
- (6) : Petit Larousse Illustré: Dictionnaire Encyclopédique pour tous, Librairie Larousse, 1972, Paris, France, Page 181.
- (7): لسان العرب، مادة همش.
- (8): الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة همش.
- (9): مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مصدر سابق، ص302
- (10): محمد طرشونة: إشكالية المنهج في النقد الأدبي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2008، ص81
- (11): Bill Ashcroft: Key Concept in post-colonial studies, London, 1998, P. 135
- (12): المركز والهامش في الأدب، حنان بن قيراط، مجلة جامعة قلمة، الجزائر، 1945، ص4
- (13): ديوانه، 89، الرجال: جمع رجل، وهو منزل الرجل ومسكنه، يشقُّ علي: يثقل علي.
- (14): ديوان عروة، 107-108. المفارقة: جمع مفقرة، وتعني رجلاً فقيراً ذا أولادٍ عجاف، خلّة: حاجة، تجرّف: تجرف ماله، مستاف: أخذ مسافة من الأرض، السرية: جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين، عليهم غضاضة: يغضون أبصارهم من الحياء، التكنف: ليس لديهم بيوت يأوون إليها.
- (15): ديوانه، 115.
- (16): ينظر لغة الجسد في أشعار الصعاليك: د. غيثاء قادرة، ص83.
- (17): ديوانه، 84، أسدف: أظلمت عيناه.
- (18): شرح أشعار الهذليين: 326/1، تروحت: رحت إليه، أترحمهم: أشقاهم وحرهم، واستقبلهم بترحة وحنن، زحزت: نحييت الإبل التي بها داء، حتى لا تعديها، رغب: واسعة كثيرة، كلومها: جراحاتها وآفاتها، أبؤساً: شراً. رام: طلب وأراد، أي: تناول منا أشياء لا نتناولها.
- (19): منتهى الطلب، 251/9، ديوان الهذليين: 81/2، التوالب: أولاد الحيوانات الصغار.
- (20): ينظر الخبر في الأغاني: 146/14.
- (21): الأغاني: 148/14، وعشرة شعراء مقلّون، 33.
- (22): قصائد جاهلية نادرة، 76-77.
- (23): جماليات التحليل الثقافي: د. يوسف عليمات، ص53.
- (24): ينظر جدلية القيم في الشعر الجاهلي: 55.
- (25): ديوان اللصوص: 139/2.

- (26): ينظر الشعراء الصعاليك: 173.
- (27): جدل الأنا والآخر في الشعر الجاهلي: 98.
- (28): ديوانه: 75.
- (29): ديوانه: 81-82، علالة الشيء: ما يأتي منه بعد مضي أوله، وهو مأخوذ من العلل، وهو الشرب الثاني بعد النهل. لدن: لين، طر: تحدّد، وبات سناناً.
- (30): جماليات التحليل الثقافي، يوسف عليمات، ص 57.
- (31): ابن الظرب: هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياض بن يشكر بن عدوان العدواني. كانت العرب لا يكون بينها نائلة أو عضلة في قضاءٍ إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، وهو حكيم وخطيب ورئيس من الجاهليين، وكان إمام مضر وحكمها وفارسها، وهو ممن حرّم الخمر في الجاهلية، بل إن بعضهم يراه حنيفاً، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً، وهو من المعمرين وأول من قرعت له العصا. تنظر ترجمته في المؤلف والمختلف للأمدى، ص 200-201، ولسان العرب: ظرب، والعصر الجاهلي: شوقي ضيف: ص 97.
- (32): الأغاني 14/148-149.
- (33): الأغاني 14/149-150، وعشرة شعراء مقلون: ص 32.
- (34): تأويلات وتفكيكات، محمد شوقي الزين، 190.